



الآليات الحجاجية في الخطبة السياسية الأموية
خطبة أبو حمزة الشاري بالمدينة

The Argumentative Mechanisms in Umayyad Political
Discourse :The Discourse of Abu Hamza al-Shari in Medina

علاء الدين بوغازي¹ فتيحة هريدي²

مخبر الشرعيات و تحليل الخطاب

¹ جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، alaeddine.boughazi@univ-annaba.dz

² جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، fatihaseridi585@yahoo.com

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية للوقوف على دراسة الآليات الحجاجية في الخطاب السياسي الأموي، هذا الأخير الذي يُعتبر من الخطابات الجوهرية على صعيد الدراسات الكلاسيكية والحداثيّة على حدّ السواء لارتباطه بالقصدية والغاية التي يسعى إليها، وكذا ثراء المنجز السردى، ويتمركز الخطاب السياسي على آليات حجاجية إقناعية تمكن من بلوغ المقاصد والغاية من خلال سلطة اللغة والتي تتمثل أساساً في لغة الخطاب. إن اهتمامنا بالخطاب السياسي في العصر الأموي هو محاولة منا إبراز الآليات الحجاجية في خطبة (أبي حمزة الشاري) اعتقاداً منا أن ذلك يمكننا من تقصي العلاقات الحجاجية التي ترتبط الخطيب بالمتلقي، كما أن الخطبة بوصفها رسالة تواصلية بلاغية حجاجية، والحقل الخصب الذي تتحقق فيه هذه الآليات الحجاجية ومن أجل إدراك أفضل لأهمية الحجاج في الخطاب السياسي العربي القديم وكمنهج لدراسة الخطبة السياسية في العصر الأموي.

كلمات مفتاحية: الخطبة الأموية، خطاب، سياسي، الحجاج، أبو حمزة الشاري، آليات، الإقناع

Summary:

This research paper aims to explore the argumentative mechanisms in Umayyad political discourse, which is considered fundamental in both classical and modern studies due to its connection to intention and objectives, as well as the richness of its narrative output. Political discourse centers on persuasive argumentative mechanisms that enable the achievement of its aims through the power of language, primarily reflected in the language of the discourse. Our interest in Umayyad political discourse is an attempt to highlight the argumentative mechanisms in the speech of Abu Hamza al-Shari, as we believe this allows us to examine the argumentative relationships connecting the speaker to the audience. Furthermore, the speech, as a rhetorical communicative message, serves as a fertile ground for these argumentative mechanisms, facilitating a better understanding of the importance of argumentation in ancient Arabic political discourse and as a methodology for studying political speeches in the Umayyad era.

Keywords: Umayyad speech, discourse, political, argumentation, Abu Hamza al-Shari, mechanisms, persuasion.

1. مقدمة :

تُعد الخطابة من الفنون النثرية في الأدب العربي حيث عرفت عند العرب القدامى منذ عصر ما قبل الإسلام، والتي تعتبر من أهم الوسائل البيانية للتعبير عن مكنونات الحياة العامة للشعوب، كما أسهمت الخطابة بشكل كبير في نشر الدعوة المحمدية وأساليب الوعظ والإرشاد والتوجيه.

تطورت الخطابة السياسية تطورًا جليًا في العصر الأموي وهذا لكثرة الأحزاب السياسية وتعدد الفرق الإسلامية، والكثير من الخطباء الذين شغلوا الوقت بكثرة خطبهم وجودتها وقد ازدهرت الخطابة في هذا العصر خاصة السياسية منها، فتفرقت بين الدفاع عن الأحزاب ومواقفها بين الدين والسياسة وتفرقت بين دفاعهم عن أحقيتهم في الخلافة ومطالبة العامة من الرعية على الطاعة والولاء لهم، واختلفت أساليبهم بين الترغيب والترهيب والوعيد في الكثير من الأحيان.

يتأسس كل خطاب سياسي على البنى اللغوية، والآليات التداولية ويعتمد في أساسه على العوامل الخارجية التي تحيط بعملية إنتاج الخطاب، والذي من شأنه العمل على استمالة المخاطبين والعمل على التأثير في آراءهم ومواقفهم، وكذا العمل على تبني وجهة نظر أو دحض فكرة وتأييد أخرى؛ فالخطاب السياسي يرتبط في أساسه بالشكل الوجودي لأي

أمة، كما يتم توظيفه في مناسبات عديدة وطنية ودولية، وكذا لتقصي وضع بعينه والتي تتفرق أغراضه حسب السياق.

وتعد خطبة أبي حمزة الشاري بالمدينة مثالا للخطابة السياسية في العصر الأموي، لكونها أسفرت عن مواطن كثيرة للحجاج والجدل أيضا، حيث نسعى من خلال هذا المقال استقصاء الآليات اللغوية والبلاغية في الخطبة، والتي اتسمت بالوفرة من خلال تقديم الحجج والبراهين على تأكيد مواقف بني أمية وأمرائهم واستناده على ما جاءت به تعاليم الدين التي أرسى معالمها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة تداولية حجاجية لخطبة أبي حمزة الشاري بالمدينة، وهذا من خلال الاستعانة بآليات التحليل الحجاجي البلاغية واللغوية منها والتعريض على مفهوم الخطبة السياسية ومفهوم الحجاج ...

2- الآليات الحجاجية في الخطاب السياسي

1.2 مفهوم الحجاج :

أ- لغة: للحجاج معان مختلفة والتي تتمحور في مادة (ح ج ج) في معجم لسان العرب لابن منظور (يقال حاجته أحج حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... والحجة البرهان وقيل: الحجة ما دافع به الخصم وقال الأزهري الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة)¹، فالحجاج هو أن يغلب المخاطب خصمه الحجة =، يقول الفراهيدي (الحجة وجه الظفر بالخصومة، والفعل حاججته فحججته، واحتججت عليه بكذا، وجمع الحجج حجج، والحجاج هو المصدر)²

يتضح لنا مما سبق أن معنى الحجاج يقوم على بنية مؤدية لمعنى النزاع والخصام ومن خلال تأكيده بأدلة وبراهين وحجج تقوم على تقوية الفكرة دعما لها أو دحضها لها أيضاً.

ب- في الاصطلاح:

يهدف الخطيب إلى التأثير في المخاطب من خلال اعتماده على اللغة، والذي يقوم بتوظيف آليات حجاجية من شأنها توجيه ذهنه المتلقي، كما يعتبر الحجاج من أهم المصطلحات في الحقل التداولي ذلك لأنه: (... فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع

ومءى قءرة الفقنىاء الءءاءىة المسءءمة على إقناعه؁ فضلا على اسءءمار الناءىة النفسىة فى المءقبل من أجل فءقىق الفأفر المءلوب فىه).³؁ فالءءاء نشاط فىوم فى أساسه على الفأفر فى المءلقى فىوم اسءغاله وقت الفنازع بىن طرفىن المءاطب والمءاطب مما فىسءءى رصء الأءلة الكافىة وءرءبىها وفق سلم معىن.

برى أبو بكر العزاوى أن الءءاء فىمءل فى: (فءءىم الءء والءلة المؤءىة إلى نءىءة معىنة وهو فىمءل فى إنءاز فسلسلاء اسءنءاءىة ءاأل الخطاب؁ أو بعبارة أءرى؁ فىمءل الءءاء فى إنءاز مءوالىاء من الأقوال؁ بعضها هو بمءابة الءء اللغوىة؁ وبعضها الآخر هو بمءابة النءاء الذى فسلنءء منها؁ إن كون اللغة لها وظىفة ءءاءىة فىعى أن الفسلسلاء الخطابىة مءءة لا بواسطة الوقائع)⁴؁ إذن فالءءاء فىوم على العرض والإفباء للءء والءلة؁ الفى ففضى إلى نءىءة فىطلع إلها المءلقى.

فى موءع آخر فىءب محمد طروس إلى أن الءءاء ومنء الوهلة الأولى هو: (نظرىة خطابىة فءرس الفقنىاء الخطابىة وعلاقفها بوظىفها الءءاءىة الفأفرىة؁ وشروط بنائها ونموها فعبرفها ءءاءا موءة للءفاع عن أطروءاء أو ءءضها).⁵

فالءءاء إذن فقنىة فءاطبىة فقوم فى أساسها على عملىة الفأفر فى أءهان المءلقىن وفءملها على اعءناق وءة نظر معىنة؁ أو أن فرفع من ءرءة الفسلىم لرأى معىن والفءوع له فهو قائم أساسا على مسءوىىن الءفاع والءءض؁ وهذا من ءلال فءءىم الءء والبراءىن الفى من شأنها فأءىة هذا الفعل الءءاءى الذى فىءف من ءلاله الخطىب إلى اسءمالة الجمهور.

3- الخطاب السىاسى:

فىقصء بالءءاب السىاسى الشكل الممىز من الفواصل الذى فىوءه لأمة بعىنفا؁ وذلك لأجل فءقىق عملىة الإقناع؁ ءىء فىعالء من ءلاله موءوعاء ءولة ومناقشة الفوءءاء الفى فرمى إلها على عءىء من الأصعبء وفى شفى المىاءىن: (وىسءمء فمىزه من شءصىة مرسله والمقام الذى فىم فىه فضلا عن بنىفه اللغوىة وما فءضمن من ءلالاء وأفكار وأسالىب بلاغىة؁ هءفها إقناع المءلقى).⁶

تكمن وظيفة الخطاب السياسي في حمل رسالة موجهة ونشر أيديولوجية معينة، أو تحريك الجمهور من أجل تبني فعل معين، ومن ثم تأكيد هوية سياسي من أجل استمالة أكبر عدد من الجماهير.

إن للخطاب السياسي علاقة مباشرة بالخطاب الإعلامي، كون الإعلام السياسي يقتات على مادة السياسة فلا يمكن بأية حال أن يستغني أحدهما عن الآخر، فيمكن أن يشغل كل خطاب مكان الآخر، وهذا يعود إلى شدة الترابط القائمة بينهما، ومنه فالخطاب الإعلامي حسب بشير إبرير: يتشكل من (أفكار الساسة وأقوالهم، كما يعمل على نقلها إلى المتلقي، فيتحول الخطاب السياسي إلى أخبار لا بد من نقلها وصفها وشرحها وتحليلها).⁷

الخطاب السياسي "حقل للتعبير عن الآراء واقتراح الأفكار والمواقف حول القضايا السياسية من قبيل شكل الحكم، كالديمقراطية واقتسام السلطة والفصل بين أنواعها، ويعتبر الخطاب السياسي خطاباً إقناعياً، يهدف إلى حمل المخاطب على القبول والتسليم بمصداقية الدعوى عن طريق توظيف حجج وبراهين، يمكننا اعتباره مؤقثاً خطاباً سياسياً، عندما يقال من طرف رجل سياسي في هدف سياسي".⁸

يتبين لنا مما سبق أن الخطاب السياسي في مجمله يقوم على تقصي ما يحدث من قضايا داخل الأمة الواحدة وخارجها وما يتعلق أساساً بالدين والوطن والدولة والهوية والعنف والسلام، وذلك بأسلوب مباشر يصرح فيه الخطاب بمصداقية القول وتحليل لواقع الأمة ونقل كل أفكار الساسة إلى جمهور الشعب التي من شأنها أن تقرّبهم منها فهماً وقصداً، وشرحاً قصد التفاعلية بين السياسي والشعب الذي من شأنه تأدية الهدف المراد منه.

4- آليات الحجاج في الخطاب السياسي الأموي: دراسة تطبيقية لخطبة أبي

حمزة الشاري

تعد البلاغة آلية من الآليات الحجاجية وذلك لاعتمادها على التأثير واستمالة المتلقي عن طريق الحجاج باستعمال الصور البيانية والأساليب الفنية الجمالية، إقناع المتلقي يرتكز أساساً على استمالة تفكير المتلقي عاطفياً وهذا لتقبله فكرة أو تبني قضية أو رفضها؛ " فيعتمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية، بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع

وظائفها في السياقات الممكنة، وقد صنف العرب بعضها منها في أعمالهم التي تركز على تلك المعاني.⁹

يعتمد المخاطب إلى توظيف جملة من الآليات و الأساليب البلاغية بخصائصها و إمكانيتها الإقناعية ، فإذا اعتمدت البلاغة كآلية من آليات الحجاج نجدها أكثر آلية تجعل من الحجاج متوفرا في معظم الخطابات ؛ "و لعلّهُ من الطريف بمكان الإشارة إلى أن الأساليب البلاغية قد تم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية، كما هو مطلوب في سياق البلاغة بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية كما هو مطلوب في الحجاج و من بين هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لداء أغراض تواصلية و لإنجاز مقاصد حجاجية".¹⁰

أولا: الآليات اللغوية:

1-العوامل الحجاجية: تتوفر خطب أبي حمزة الشاري على عوامل حجاجية تعمل على سلامة البناء الفني للنص الحجاجي، وهذا من خلال وظيفتها الحجاجية التي نبرزها فيما يأتي:

أ- أدوات الشرط: (إذا - لو):

1-إذا الشرطية: ورد أسلوب الشرط في خطبة أبي حمزة بالمدينة: "قد نظر الله إليهم في أناء الليل منثنية أصلاهم بمثاني، إذا مرَّ أحدهم بآية فيها ذكرُ الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مرَّ أحدهم بآية فيها ذكرُ النار شقق شققاً كأن زفيرَ جهنم في أذنيه"¹¹ فتوظيف إذا الشرطية يلزم المخاطب بطريقة حتمية إلى صياغة جواب الشرط في القول الموالي الذي يحمل في جوهره الحجج والنتائج، فانحناء أجساد المؤمنين بترتيل كتاب الله خاشعين خشوعا جليلا، فكان بكاءهم يدل على الجنة والشوق إليها وشهيقهم جواب لمروهم بآيات تذكر النار وتذكرهم بجهنم والحساب العسير.

" حتى إذا رأوا سهامَ العدو قد فوقتْ، ورماحهُ قد أشرعتْ، وسيوفه قد انتضيتْ وبرقت الكتيبة ورعدتْ بصواعق الموت، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله " ص223

توظيف إذا الشرطية في هذا المثال من الخطبة يوضح من خلاله كيف للمسلمين وقد شهدوا المعارك الضارية والحروب الكثيرة ولم تنثني عزائمهم ولم تنكسر شوكتهم، والنتيجة

القائمة على ذلك أنهم كانوا على إيمان بالحق سبحانه وتعالى إيماننا مطلقا يقودهم إلى النصر والغلبة وإن وعد الله كان مفعولا.

2- لو الشرطية:

ورد أسلوب الشرط في خطبة أبي حمزة بالمدينة فيما يلي:

"أما والله إنني لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم، ولو لا اشتغالي بغيركم عنكم، ما تركت الأخذ فوق أيديكم"

إن توظيف أداة الشرط "لو" لمقاصد حجاجية، لا تستقيم إلا بها، فيبدأ الانطلاق من مقدمات دلالية، هذه الصيغة اللغوية الشرطية تبدأ بالقسم (أما والله) وتنقسم إلى جملة الشرط وجملة جواب الشرط وهي النتيجة أي ما تركت الأخذ فوق أيديكم، فيها استمالة حقيقة لقوة قوله واستمالتهم لمعرفته الحقيقة بهم، والتأثير فيهم من خلال اشتغاله بغيرهم من سكان المدينة عنهم.

3- أسلوب التوكيد:

هو ركن من أركان البناء البياني واللغوي، والتي ارتكزت عليها الخطابات الأدبية العربية قديما وحديثا وهو: "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإمالة الشبهات عما أنت بصدد" ¹²

وقد لجأ الخطيب أبو حمزة الشاري إلى التوكيد في أجزاء متفرقة من خطبته، وهذا ليؤكد على الحجج التي هو بصدد طرحها على أهل المدينة، فصيغة إعادة اللفظ على السامع تجعل من الحجة ثابتة في ذهنه: "ثم ولي بعده ابنه يزيد، يزيد الخمر، ويزيد الصقور، ويزيد الفهود، ويزيد الصيود، ويزيد القروذ..." ¹³

وهذا توكيد لفظي حيث أن له دورا قويا في التأثير على النفوس ومما يزيد من قوة الخطاب ولفت انتباه المتلقي واستمالة عواطفه، فكلمة يزيد تردُ بصفته توكيدا على بشاعة أفعاله، وهنا تكمن براعة الخطيب أبو حمزة الشاري في القدرة على تأدية الغاية من خطابه والتأثير في نفوس أهل المدينة لمبايعة أصحابه.

1- التوكيد بالقسم:

في قوله "أما والله إنني لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم" ¹⁴

القسم هو يمين لتوكيد الكلام، وقد وظفه الخطيب ليزيد سر تأكيده على أنه عالم بكل ما يضمرونه من خفايا وإن كان ضررها أكثر من نفعها عليهم في أمور حياتهم.

2- التوكيد بأن:

في قوله: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب، وبين له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع" ¹⁵، يبين الخطيب هنا التأكيد على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وحده من أنزل عليه القرآن الكريم الذي حدد منهج الإسلام وطريق الهداية ونهج الحق من العبادات والطاعات وغيرها من أمور الدين وهذا التوكيد يجعل المتلقي وإن كان مسلماً يزداد يقيناً بدين الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي الذي تركز عليه بنية الخطاب الحجاجي " فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلاً تشتمل على عدد كبير من الروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية نذكر من هذه الأدوات: الواو، بل، حتى، إذن... " ¹⁶

تناول أبو حمزة الشاري في خطبته على العديد من الروابط الحجاجية، التي أدت إلى الاتساق والانسجام في خطبته، وسنوضح ذلك من خلال تجزئة بعضها لدراسة استعمالها من خلال بعض الأمثلة من نص الخطبة:

أ – الرابط "واو"

القول	الرابط	الحجة
-إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب	و	بين له فيه السنن – شرع له في الشرائع
-وَلَّى أبا بكر صلاتهم	و	عمل بالكتاب والسنة – قاتل أهل الردّة – شمر في أمر الله.
-وَلَّى عمر بن الخطاب	و	عمل بالكتاب والسنة – جند الأجناد – مصر الأمصار.

الجدول رقم (01): دور أداة الربط (الواو) في خطبة حمزة الشاري

دور أداة الربط (الواو) في خطبة أبي حمزة الشاري: استعملها الخطيب للربط بين الأفكار المتعددة، وتسلسلها وتعمد ترتيب الحجج لإبراز رأي المخاطب من خلال إيصال المعاني الصحيحة للحجج المذكورة والتي أراد أن يوضحها من خلال كلامه.

ب- الرابط "فاء"

القول	الرابط	الحجة
- ولّى أبا بكر صلاتهم	ف	ولاه المسلمون أمر دنياهم، عمل بالكتاب والسنة
- ثم ولّى علي بن أبي طالب	ف	لم يبلغ من الحق قصداً
- ثم ولّى معاوية بن أبي سفيان	ف	سفك الدّم الحرام
- ثم ولّى بعده ابنه يزيد	ف	خالف القرآن واتبع الكهان

الجدول رقم (02): دور أداة الربط (الفاء) في خطبة حمزة الشاري

الفاء: لحرف الفاء إلى جانب الربط بين النتيجة والحجة دلالات متعددة، حيث تأتي عقب الانتهاء من الفاء النتيجة وهذا للإحالة مباشرة إلى ما تفسره، وهي تعتبر رابط حجاجي تستعمل في تقديم الحجج لإقامة البراهين عليها، وكذا تفيد التعقيب والترتيب بين أطروحتين فأكثر.

ج- الرابط "حتى"

هي عبارة عن أداة تربط أو تتوسط دليلين، كما تصل إلى التأكيد على أحد الأدلة الذي يقدم في الأخير النتيجة المقصودة من القول " وهذا ما يوافق الوصف الحجاجي الذي قدمه (ديكرو وأنسكومبر) أداة المقابلة لـ(حتى) الحجاجية في اللغة الفرنسية، فالحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة " ¹⁷

مثال 1:

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب، وبين له في السنن، وشرع له فيه الشرائع، وبين له فيه ما يأتي وما يذر فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولا يحجم إلا عن أمر

الله، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم، وقد أدى الذي عليه وعلم المسلمين معالم دينهم، ولم يدعهم من أمرهم في شبهة"

الحجة الأولى: بين له فيه ما يأتي وما يذر فلم يكون يتقدم إلا بأمر الله

الحجة الثانية: لا يحجم إلا عن أمر الله

الرابط: حتى

الحجة الثالثة: قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم

الحجة الرابعة: قد أدى الذي عليه وعلم المسلمين معالم دينهم

فكل هذه الحجج عملت على تحقيق نتيجة واحدة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوان لحظة واحدة من بدأ دعوته في الحرص على أمور الدين وأرسى القواعد وسن السنن التي نزل بها القرآن الكريم وما يمكن ملاحظته على هذه البنية الحجاجية أن الحجة الواردة بعد الرابط " حتى " هي الحجة الأقوى والأظهر كونها أكدت الحجج السابقة لها في أن النبي صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة على أكمل وجه وأسس لدى المسلمين عقيدة الحق والثبات.

مثال 2:

" قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام، وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهده الله، منجزون لوعده الله حتى إذا رأوا سهام العدو فوقت رماحهم وقد أشرعت وسيوفهم وقد انتضيت وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة"¹⁸

الحجة الأولى: موفون بعهده الله

الحجة الثانية: منجزون لوعده الله

الرابط: حتى

الحجة الثالثة: استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله

الحجة الرابعة: لم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة.

كل هذه الحجج التي أوردها الخطيب يؤكد من خلالها على قدرة أصحاب رسول الله وسلم وتعلقهم بالآخرة على حساب دنياهم وحرصهم على دينهم بقيام الليل وصيام النهار وفاء بعهده الله والحجج التي أعقبت بعد الرابط " حتى " تبين لنا البنية الحجاجية التي أوردها في

الحجج التالية التي تؤكد أن كل ذلك الحرص على الدين كان يهون عليهم مشقة المعارك وضراوة الحروب في سبيل إعلاء كلمة الدين ونصرتة إيماناً مطلقاً منهم بقدرة الله على تأييدهم ونصرتهم.

ثانياً: الآليات البلاغية الحجاجية في خطبة أي حمزة الشاري:

تحتل البلاغة مكانة أساسية في الحجاج وتعتبر آلياتها من الآليات الحجاجية التي وظفها العرب القدماء لضرورتها الحتمية في إقناع المتلقي واستمالته، وتتمثل هذه الآليات في الصور البيانية والمحسنات البديعية.

الصور البيانية: وتهدف إلى التأثير على المتلقي وتوجيهه وهي كالتالي:

1- الإستعارة: "تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"¹⁹
تعد الاستعارة من مرتكزات الحجاج وأهم آلياته البلاغية نظراً لما تحقّقه من نتائج إيجابية وتقريب المعنى المراد إلى ذهنية المتلقي.

النماذج:

1- "حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم" شبه أبو حمزة الشاري الموت بـ (القبض) وهي صفة ملك الموت الذي خلق لذلك، فحذف المشبه به وهو (الموت) وصرّح بالمشبه به وهو (القبض) للإشارة إليه على سبيل الاستعارة المكنية.

2- "وشمر في أمر الله" شبه الخطيب هنا أمر الله كساعد الرجل القوي الذي يهابه العباد فاستعار قرينة تدل عليه وهي الفعل "شمر" الذي هو مثال للقوة والعزم والإصرار، فحذف المشبه به وصرّح بالمشبه به وهو أمر الله على سبيل الاستعارة المكنية.

غلبت الاستعارة المكنية على الخطبة فجاءت أغلبيتها مكنية الغاية منها تقوية المعنى وإثباته كما عمد الخطيب إلى توظيفها لإبراز الكثير من الصفات المعنوية.

2- الكناية: الكناية لها دور بارز في الخطاب الحجاجي هذا ما نستشفه من خلال نص الخطبة، في الدليل الذي يعمد المخاطب إليه لإثبات المعنى وإقراره وكذا إقناع الجمهور المتلقي يقول الجرجاني "يقولون من شأن هذه الأجناس أن تسكب المعاني مزية وفضلاً، وتوجب لها شرفاً ونبلاً أن تفخمها في نفوس السامعين"²⁰

نماذج:

- 1- "أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم" وهي كناية على أثر السجود وهو أعلى درجات الاستكانة ومداومتهم على طول قيام الليل تهجدا وطاعة لله فالأرض فكانت تأكل من أجسادهم وهذا لقدرتهم على الطاعات وامثالهم لأمر الله.
- 2- "ولقوا شبا الأسنة، وشائك السهام، وضُّبات السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم" وهنا تتمثل الكناية في أن شباب المسلمين كانوا على قدر من الإقدام والتضحية والذود عن الإسلام ومعتقداته وجعل صفاتهم تدل على ذلك كناية على أنهم لا يهابون الموت. فالكناية تعد من أبرز الوسائل البلاغية الحجاجية التي توصل دلالة المعنى للجمهور المتلقي قصد استمالة فهمه وإدراكه بالتكنية حتى يتشارك مع الخطيب في جوهر فكرته.

3- التمثيل:

وهو ما بقصد به التشبيه والذي يسهم بشكل مباشر في عملية الإقناع يقول الشهري: "هو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان الحجة"²¹ يعتمد المرسل إلى توظيف التشبيهات الكثيرة في خطابه وهذا لبيان الحال، والإقناع بما يريد الوصول إليه ونرى ذلك في نص الخطبة.

"وإذا مَرَّ بآية من ذكر النار شهِق شَهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه"

لقد شبه الخطيب ذكر النار في القرآن الكريم وهم عاكفون على تلاوته وتدبره بهول نار جهنم وزفيرها الذي يسمعون به بين أذانهم لقوله تعالى "يسمعون حسيها"

• المحسنات البديعية:

للمحسنات البديعية دورها الحجاجي بعيداً على الزخرف الفني والفظي للخطاب، وأن هذه الآلية الحجاجية تهدف إلى الإفهام والإقناع كغاية أجدى وأنفع «إذ أن لها دوراً حجاجياً لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالداثر مبلغاً الأبعد، حتى لم تخيل الناس غير ذلك»²² وتعتبر هذه المحسنات خاصية ملازمة للخطاب الذي يهدف صاحبه إلى بلوغ الغاية من تأثيره واستمالة عواطف الجمهور وحملهم على تغيير آرائهم كما أنها من عوامل الإبداع الفني دون تكلف.

أ- السجع:

يعتبر السجع من المحسنات البديعية اللفظية التي يزخر به النثر وهو من بين الفنون التي وظفها الأدباء قديما وحديثا لأهميتها وقدرتها البلاغية والجمالية على تحقيق الغاية والمقصد وهذا ما نجده في خطبة أبي حمزة الشاري:

- " أن أهل المدينة يعيرون أصحابه لحدثه أسنانهم - وخفة أحلامهم أحلامهم "
 - " وجلف من الأعراب وبقية من الأحزاب "
 - " واتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا، وبغى دينه عوج ودغلا "
 - يزيد الفهود ويزيد الصيود ويزيد القروء "
 - " لم يبلغ أشده ولم يؤنس رشده "
 - " حتى رأوا سهام العدو قد فوقت ورماحهم وقد أشرعت وسيوفهم وقد انتضيت "
- حيث يعد السجع في هذه الخطبة شكلا موسيقيا له دوره الأهم في عمليتي الإقناع والتأثير والذي يؤدي دلالات أعمق وتأويلات يهدف صاحبها إلى إثارة مشاعر الجمهور المتلقي بكل الأساليب الممكنة.

ب - الطباق:

1: طباق الإيجاب:

- " وبين له فيه ما يأتي وما ينذر "
- " فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله. "
- " فخالف القرآن واتبع الكهان "
- " يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر "
- " ضلالة أو هدى "
- " شباب والله مكتملون في شباههم «، وظف الخطيب طباق الإيجاب بشكل كثير في الخطبة وهذا لما له من أهمية في معادلة الإقناع وتوضيح المعنى وإجلائه من حيث توظيف الكلمات وأضدادها وهذا ما يفسر لنا أن المفردات تتميز بأضدادها وكذا لتقوية الأسلوب الحجاجي في الخطبة وقدرته على تأدية المراد منه.

2:- طباق السلب:

"باعوا أنفسهم تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا"، المسلمون ال أوائل أثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا و شغلوا أنفسهم بالحياة الخالدة على الفانية ، فقد كانوا على يقين أن كل ما يقربهم من الله من أفعال و أعمال هي ذخرهم الحقيقي ليوم الحق و للحياة الأبدية عكس الفرق الذين أظهروا بالدين و عاثوا باسم الإسلام فسادا و منكرا في الأرض و بهذا أورد الخطيب هذا الربط العكسي الذي يقره على أنه في حقيقته الإسلام يجمعهم ظاهرا لا فعلا و جوهرها و فعل التحلي بالأخلاق الحسنة هي صورة المسلم الحقة فهذه التظاهرات التعارضية تبرز الدلالة المقصودة التي تهدف إلى تقرير الفهم لدى الآخرين.

خاتمة:

الخطبة من إبداع أبو حمزة الشاري تهدف إلى رصد بعض النقاط الأساسية التي لها واقع السياسة الأموية:

-تعد الخطبة السياسية في العصر الأموي من الظواهر الأدبية والفنية ذات الأهمية البالغة التي تعكس من خلال مضامينها التفاعلات الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة وقد تناولنا من خلال بحثنا خطبة أبي حمزة الشاري في المدينة كنموذج بارز على كيفية استخدام الخطابة كأداة للتعبير عن القضايا السياسية والدينية والاجتماعية.

لقد أظهرت خطبة أبي حمزة الشاري قوة البلاغة وقدرة الخطباء على التأثير في الجماهير، حيث تناولت مواضيع تتعلق في مجملها بالعدالة والولاء والحكم ومن خلال دراستنا للخطبة من ناحيتي المضمون والأسلوب الخطابي، يتضح لنا كيف أسهمت الخطبة السياسية في نقل الرأي الفردي وشكل الوعي الجمعي العام، مما ساهم في تعزيز الهوية السياسية والدينية في المجتمع الواحد.

علاوة على ذلك اتسم بحثنا هذا بأهمية السياقات التاريخية والثقافية التي أحاطت بالخطابة في العصر الأموي، كما اتضح أن الخطبة السياسية تمثل نموذجا بارزا وأرضية خصبة للغة الحجاجية في سياق سياسي معقد ومحتدم الأطراف، من خلال وقوفنا على تحليل العناصر الفنية والبلاغية المستخدمة، تبين لنا كيف استطاع الخطيب أبي حمزة الشاري في التعبير عن وجهات نظره بمهارة فنية عالية، مركزا على الأدوات الحجاجية لتوجيه الخطاب واستمالة الجماهير.

كما أظهرت هذه الخطبة أهمية الخطابة كوسيلة للتأثير في المجتمع، كما أن آليات الحجاج التي اعتمدها أبي حمزة الشاري مثل التوكيد وأدوات الربط والتكرار، تعكس كيف يمكن للكلمات أن تكون السلاح الفعال في يد الخطيب للتعامل مع الخطبة بذاتها وبرؤية فنية عالية.

إن تحليلنا لهذه الخطبة من خلال تناول أهم الآليات الحجاجية فتحت أمامنا أفقا لفهم العلاقة بين الخطابة والسياسة في العصر الأموي بالتحديد، هذا ما يعزز من أهمية الدراسات السابقة التي الخطاب السياسي كجزء لا يتجزأ من التراث الثقافي العربي.

الإحالات والهوامش :

- ¹ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفرقي ت 711 هـ)، لسان العرب، بيروت، ط 1، (د. ت)، 226/2. (مادة حجج)
- ² - الخليل الفراهيدي (أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمامي ت 170 هـ، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، (د. ط) (د. ت)، 10/3 (مادة حجج)
- ³ - صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط 1، 2008 م، ص 21
- ⁴ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2008 م، ص 16.
- ⁵ - محمد طروس: النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 2005 م، ص 44.
- ⁶ - محمد الولي: الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب، مجلة علامات، المغرب، ع 19، 2004 م، ص 124.
- ⁷ - بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب الغير أدبي، دار النهضة العربية، مصر، ط 1، 1979 م، ص 53
- ⁸ - مصطفى الشاذلي: الخطاب السياسي في المغرب، كلية الآداب الرباط، ط 1، 2002 م، ص 122.
- ⁹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب - مقارنة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004 م، ص 477.
- ¹⁰ - صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 50.
- ¹¹ - الدكتور أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم بيروت، لبنان، ص 320.
- ¹² - يحي حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسباب البلاغة وعلوم الحقائق الإعجاز، دار المقتطف، مصر، 1914 م، ص 2.
- ¹³ - خطبة أبي حمزة الشاري. ص 228

- 14 - خطبة أبو حمزة الشاري، ص: 228
 - 15 - خطبة أبو حمزة الشاري، ص: 228
 - 16 - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م، ص 26.
 - 17 - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 73.
 - 18 - خطبة أبو حمزة الشاري
 - 19 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، ص: 495.
 - 20 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، ص: 52.
 - 21 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب ص: 497.
 - 22 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب، ص: 498.
- قائمة مراجع البحث وإحالاته:**
1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفرقي ت 711 هـ)، لسان العرب، بيروت، ط 1، (د. ت)، 2/226. (مادة حجج
 2. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م.
 3. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2008م
 4. بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب الغير أدبي، دار النهضة العربية، مصر، ط 1، 1979م
 5. محمد الولي: الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب، مجلة علامات، المغرب، ع 19، 2003م
 6. خطبة أبو حمزة الشاري: نقلا عن كتاب: العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تج: عبد المجيد الترحيني، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م.
 7. الدكتور أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم بيروت، لبنان. 1960م.
 8. صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط 1، 2008م
 9. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2. 2007م
 10. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب - مقارنة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004م
 11. لخليل الفراهيدي (أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني ت 170 هـ، معجم العين، تج: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، (د. ط) (د. ت)، 10/3 (مادة حجج)، 2004م.
 12. محمد طروس: النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 2005م.
 13. مصطفى الشاذلي: الخطاب السياسي في المغرب، كلية الآداب الرباط، ط 1، 2002م.
 14. يحي حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسباب البلاغة وعلوم الحقائق الإعجاز، دار المقتطف، مصر، 1914م.